

الاستراتيجيات الاسرائيلية

آلياتها ومخاطرها وتناقضاتها

Dieckhoff, Alain; *Les Espaces d'Israël*, Paris: Fondation pour les Etudes de Défense Nationale, 1987, 214 p.

كتاب آلن ديكوف «مجالات اسرائيل» ليس، بالتأكيد، كتاباً ظرفياً يصدر في مناسبة عابرة. ولأنه يعالج قضية حيوية لا تزال قائمة، فقد جاء صدوره خلال الشهور الثلاثة الاخيرة من العام ١٩٨٧، كما ورد في «الايداع القانوني»، ليواكب مضمونه، أو بتعبير أدق، ليواكب استنتاجاته: انتفاضة الاراضي المحتلة.

وهو كتاب غني بتحليله الذي يعتمد تفكيك آليات الاستراتيجيات الاسرائيلية لفهمها «من الداخل»: وذلك على الرغم من ان المنهج لا ينطلق، في اتكائه على مسلماته، من موضوعية ما؛ كما انه لا يخرج سالماً من المآخذ، عندما يغالي في الفهم المسبق ليصير تفهماً يغلب عليه التبرير، حيناً، والانحياز غالباً. وسوف نرى، أيضاً، ان تحفظ الجهة المصدرة للكتاب، وهي مؤسسة الدفاع القومي في فرنسا، التي جاء في التعريف بها انها «مؤسسة خاصة، ليس هدفها الربح، وتعمل من اجل المنفعة العامة، وهدفها الاساسي اثارة الاهتمام بمسائل الدفاع. وهي لا تتحاز الى موقف معين ولا تتبنى مذهباً خاصاً»، هو تحفظ يعبر عن موقف له ما يبرره، منهجياً، وكذلك في نظرتنا الى بعض طروحات المؤلف آلن ديكوف (دكتور في علم الاجتماع السياسي عضو سابق في جمعية جان مونييه العلمية في المعهد الجامعي الاوروبي في مدينة فلورنسا؛ كتب العديد من المقالات عن اسرائيل والصهيونية؛ وهو يحاضر، حالياً، في مادة العلوم الاجتماعية، في معهد الدراسات العليا في فرنسا).

يعدد المؤلف أربعة مجالات اسرائيلية هي: المجال الطبيعي، والمجال السكاني (الديمغرافي)، والمجال الاقتصادي، وأخيراً المجال الايديولوجي؛ وتستخدم فيها اسرائيل - من اجل بقائها - أربع استراتيجيات مناسبة هي: الاستراتيجية العسكرية، والاستراتيجية الديمغرافية، والاستراتيجية النفعية، والاستراتيجية الرمزية. وطريقة عمل كل من تلك الاستراتيجيات الاربع، في مجالاتها المذكورة، هي التي تشكل فصول الكتاب، مع فصل خامس اضافي، يحاول تقويم استراتيجية اسرائيل الاقليمية في الاراضي المحتلة، لينتهي الكتاب بخاتمة استنتاجية.

قبل ذلك، يقدم المؤلف لكتابه، تحت عنوان «الاستراتيجية الاقليمية، استراتيجية بقاء»، متحدثاً عن دلالة بقاء اسرائيل التي تعني، حديثاً، «دولة اقامتها الصهيونية المعاصرة»؛ كما تدل، تاريخياً، على اسم شعب «غزا» ارض كنعان التي وعده بها الله». ويأتي هذا التقديم كمحاولة ربط تاريخية بين ما حدث تاريخياً، في فلسطين، وما حدث لاحقاً، على الصعيد الاستراتيجي: لقد غزا الشعب اليهودي ارض كنعان التي وعده الله بها، عبر تدخل تدريجي قامت به القبائل الاسرائيلية، معتمدة على استراتيجية متنوعة الاشكال، مع وسائل وقائية (تجسس) ومواجهات غير مباشرة (تكتيك خديعة، هجومات تضليلية، مناورات لتحويل انظار العدو، كمانن) ومواجهات مباشرة (الاستيلاء على قلاع منيعة مثل قلعة اريحا). تلك الاستراتيجيات مكنت من ايجاد ارض مقسمة بين قبائل متفرقة، سرعان ما تم توحيدها عبر احتلال المجالات الكنعانية التي تفصل بين الحيازات القبلية اليهودية.